الباب السابع

مُتَفَرّقَـــــات

- رد الشبه عن مشروعية الطلاق.
- حـــوادث تاريخيـــة فى الطلاق.

الفصل الأول

رد الشبه عن مشروعية الطلاق

بعد أن عرفنا أن الطلاق مشروع فى الأمم التى سبقت الإسلام لا ينبغى أن يُطعن على تشريعه فى الدين الإسلامى، للأسباب والحكم التى ذكرناها من قبل.

وقد حاول المتزمتون أن يجدوا مخلصا لتشريعه عندهم حتى يكون أقرب إلى الفطرة الإنسانية وظروف الحياة الاجتماعية، إذ رأوا أنه شاع فى جميع بلاد العالم، وكثر فى بعضها كثرة مذهلة فى الدول التى تدين رسميا بالمسيحية التى تعمل على الحد منه، وقد مرت بك صور من ذلك.

جاء فى الأهرام ١٧ / ١٢ / ١٩٦٧ أن هناك مشروعا فى برلمان إيطاليا يطالب بإباحة الطلاق، وهو مقدم منذ سنتين، لكنه لم يبحث ، لأن البابا بول السادس رفع مذكرة يرفض دراسة أى موضوع يخص الفاتيكان وحده، وخاصة إذا كان الموضوع هو الطلاق. والمنادون بذلك جادون فى الحصول عليه قائلين: إن هناك خمسة ملايين امرأة منفصلة عن زوجها بسبب فشل الحياة الزوجية، وهناك نصف مليون رجل يعيش مع امرأة غير زوجته، وإن ٣٠٠ ألف طفل غير شرعى يولدون من هذه العلاقات. وينص المشروع على إباحة الطلاق فى حالات معينة، كالإصابة بالجنون، والحكم بالسجن لمدة لا تقل عن خمس سنوات، والسجن بسبب ارتكاب جريمة جنسية، والهجرة لمدة خمس سنوات.

وقد تم المشروع ووفق عليه، وانطلق المنتظرون للطلاق يفكون قيودهم بسرعة قبل أن يجد جديد فى الموضوع.

إن الطلاق يمارس الآن فعلا فى غير ما تقدم ذكره من البلاد، ففى اليابان يمارس، كما كان يمارس من قديم، فإن «إيياسو» مؤسس أسرة «شواجن طوكوجاوا» من سنة ١٦٠٠ – ١٨٦٨م أباح الطلاق بغير مبرر. والطلاق هناك يبيحه القانون، فإنْ رزق الزوجان بمولود خلال سنة تبنته إحدى العائلتين، أو عائلة أخرى لم

تنجب، وكان للعائلة حق فصل الزوجين إن تعارض الزواج مع مصالح الأسرة على الرغم من وجود الحب، ولكن ذلك بطل فى هذه الأيام.

وفى الصين يجوز طلاق العقيم، وهو موجود فى جزر الهند، وفى منطقة « تريستا » الحرة بإيطاليا يمارس أيضا.

ولا ينبغى أن يطعن على الإسلام فى جعله الطلاق بيد الرجل، بأنه مناف للمساواة التى تقضى بأن يفسخ العقد برضاهما جميعا. وذلك لما يأتى:

(أ) المرأة عند زواجها هى التى رضيت بأن يكون الحق بيد الرجل، وتتنازل بسبب ذلك عن الحقوق التى تتعلق بالطلاق، فهو يمارس الطلاق بناء على موافقتها ضمن عقد الزواج.

(ب) الرجل أقدر على ضبط عواطفه على ما سبق بيانه، والحياة الزوجية كسفينة فى بحر لُجِّى، والذى يُعْطَى القيادة هو الأكفأ قوة ونفسا وفكرا، والرجل من غير شك هو أكفأ الزوجين.

(جـ) على أن انفراد الزوج بالطلاق ليس معناه أنه حر كل الحرية فى استعماله حتى لو كان على وجه سيىء، فإن هناك حكمين شُرعا لبحث النزاع قبل التسليم بالإجراء الأخير الذى يرى أنه هو الحل الوحيد، وهما من قبل الطرفين، فانفراده مربوط أيضا بهما، وكذلك يجوز تدخل القضاء عند الضرورة. كالتطليق عند الإعسار والضرر وامتناع الرجل عن إيقاع الطلاق، فهو ليس كامل الحرية فى الطلاق.

* * *

الفصل الثانى
حوادث تاريخية فى الطلاق

١ - طلاق عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق لعاتكة:

تزوج عبدالرحمن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت من أجمل نساء قريش، وشاعرة حسنة الخلق، وكان عبدالرحمن من أحسن الناس وجها، وأبرهم بوالديه، فلما دخل عليها غلبت على عقله، وأحبها حبا شديدا، شغله عن تجارته، قيل إنها شغلته عن الصلاة، فإن أباه مر عليه وهو فى علّية له يناغيها فى يوم جمعة وأبو بكر متوجه إلى الجامع، ثم رجع وهو يناغيها، فقال: يا عبد الله أجمعت؟ يعنى أصليت الجمعة؟ فقال: أو صَلَّى الناس؟ قال: نعم، فقال يا بنى إنى أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك، وغلبت على عقلك، فطلقها، قال: لست أقدر على ذلك. قال: أقسمت عليك إلا طلقتها. فلم يقدر على مخالفة أبيه، فطلَّقها. فجزع عليها جزعاً شديدا، وامتنع عن الطعام والشراب، فقيل لأبى بكر: أهلكت عبد الرحمن. فمرَّ به يوما، وعبد الرحمن لا يراه، وهو مضطجع فى الشمس ويقول:

أعاتكُ ما أنساك ما ذَرَّ شارق ... وما ناح قِمرِىٌّ الحمام المطوق

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها فى غير شىء يطلق

لها خلق عَفٌّ ودين ومَحْتِدٌ ... وخَلْقٌ سوى فى الحياء ومنطق

وجاء قبل هذه الأبيات أبيات أخرى فى بعض الروايات هى:

أعاتك قلبى كل يوم وليلة ... لديك بما تخفى النفوس معلق

لها خلق جَزْل ورأى ومنطق ... وخَلْقٌ مَصُون فى حياء ومَصْدَق

فسمعه أبوه، فرقّ له، وقال له : راجعها يا بنى ، فراجعها، وأعطاها حديقة، على ألا تتزوج بعده. فأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف، أصابه سهم من أبى محجن فقتله، فجزعت عليه جزعا شديدا، وقالت فى رثائه :

فللـه عينـــا من رأى مثلـــه فتـى ... أكرَّ وأحمـى فى الهيـاج وأصبـرا
إذا شـرعت فيه الأسـنة خاضـــها ... إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا
فآليت لا تنفـــك عينى حزينـــة ... عليك ولا ينفـك جلـدى أغبـــرا
مدى الدهر ما غنت حمامة أيْكَةٍ ... وما طـرد الليـل الصـباح المنـورا

وجاء فى رواية بدل البيتين الأولين:

فتى طول عمرى ما أرى مثله فتى ... أكرّ وأحْمـى فى الهيـاج وأصبـرا
إذا شرعت فيه الأســنة خاضهـا ... إلى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب، ولما استشهد باليمامة تزوجها عمر، وقيل: إن زيدا لم يتزوجها، ولكن عمر هو الذى تزوجها بعد عبدالرحمن. وكان زواجه بها فى أيام خلافته، ولما خطبها قالت له: كيف الخلاص من وعد ابن أبى بكر وحديقته؟ فاستفتت على بن أبى طالب، فأفتى برد الحديقة إلى أهله لتتزوج. ولما تزوجها عمر دعا الناس إلى وليمة، وكان ذلك فى السنة الثانية عشرة للهجرة، فأتوه. فلما فرغ عمر من الطعام وخرج الناس قال له على بن أبى طالب: يا أمير المؤمنين أتأذن لى فى كلام عاتكة، حتى أهنّيها، وأدعو لها بالبركة. فذكر عمر ذلك لعاتكة، فقالت: إن أبا الحسن فيه مزاح، فأذن له يا أمير المؤمنين، فأذن له ، فرفع جانب من الخدر، فنظر إليها، فإذا ما بدا من جسمها، وهو البراجم، مضمَّخ بالخَلُوق. فقال لها : يا عاتكة، أو : يا عُدَيَّة نفسها، ألست القائلة:

فآليت لا تنفك عينى حزينة ... عليك ولا ينفك جلدى أغبرا؟

فقال عمر: كل الناس يفعلن ذلك.

ولما قتل عنها تزوجت بعده الزبير بن العوام، وكان رجلا غيورا، وكانت تخرج إلى المسجد، ثم قتل عنها الزبير على يد عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو نائم، فرثته بقصيدة جاء فيها:

شلَّت يمينك إن قتلت لمسلما حلَّت عليك عقوبة المتعمد

وبعد موت ابن الزبير قيل: إن عليا خطبها، فأرسلت إليه: إنى لأَضِنُّ بك يا بن عم رسول الله عن القتل، فكان على يقول: من أحب الشهادة الحاضرة فليتزوج عاتكة، ومن أزواجها محمد بن أبى بكر الصديق[1] قتل عنها بمصر، فقالت: لا أتزوج بعده أبدا إنى لأحسب أنى لو تزوجت جميع أهل الأرض لقتلوا عن آخرهم. ويقال: إن الحسن بن على تزوجها بعد موت محمد بن أبى بكر، فكانت أول من رفع خَدَّه من التراب، ثم تأيمت بعده. ويقال: إن مروان خطبها بعد الحسين، فامتنعت عليه، وقالت: ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله ﷺ. وتوفيت حوالى ٤٠هـ. ويقال: إن عمر لما خطبها شرطت ألا يمنعها الذهاب إلى المسجد، فكان يأذن لها على مضض، ويقال: أنه قعد لها فى الطريق عند سقيفة بنى ساعدة، وكانت عجزاء بادنة، فضرب عجيزتها بيده وهى خارجة لصلاة العشاء، فامتنعت بعد ذلك، كما فى أسد الغابة، وتقدم ذلك فى الجزء الثانى الخاص بالحجاب، ويقال: إن هذه الحادثة كانت وهى زوجة للزبير[2].

٢ - الحسن بن على كان مطلاقا:

ذكر العدْوى فى مشارق الأنوار ص ١٦٩: أن ابن سعد أخرج عن على أنه قال: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مِطْلاق. فقال رجل من همدان، لَنُزَوِّجَنَّه، فما رضى أمسك، وما كره طلق. وكان لا يفارق امرأة إلا وهى تحبه، ويقال: إنه أحْصَنَ تسعين امرأة.

---

(١) قيل أنه عبدالله بن أبى بكر «حاشية الأمير على المغنى ج١ ص ٢١»

(٢) المستطرف ج٢ ص ١٨٥، ١٨٦، حياة الحيوان الكبرى للدميرى - قمرى -، البداية والنهاية لابن كثير

أخرج البيهقى فى سننه والطبرانى والدارقطنى بإسناد صحيح أحدهما عن سويد بن عقلة، قال: كانت عائشة الخثعمية عند الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، فلما مات قالت له: لتَهْنِكَ الإمارة أو الخلافة. فقال الحسن: يقتل علىٌّ وتظهرين الشماتة؟ اذهبى فأنت طالق ثلاثة. قال: فتلفعت نساجها، واعتدَّت حتى انقضت عدتها، وبعث إليها بعشرة آلاف متعة، وبقية بقيت لها من صداقها، فقالت: متاع قليل من حبيب مفارق. فلما بلغه قولها بكى، وقال: لولا أنى سمعت جدى، أو حدثنى أبى أنه سمع من جدى عليه الصلاة والسلام «أيما رجل طلق امرأته ثلاثا مبهمة، أو ثلاثا عند الإقراء لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره» لراجعتها. وفى الرواية الأخرى بلفظ: أو طلقها ثلاثا جميعا لم تحل له..[1] وقد أشير إلى خبرها من قبل.

٣ - الوليد بن يزيد يطلق سُعْدَى:

لما طلق الوليد زوجته سُعْدَى، ثم تزوجت اشتد ذلك عليه، وندم ندما شديدا على ما كان منه. فدخل عليه أشعب، فقال له: هل لك أن تبلغ سعدى عنى رسالة، ولك عشرة آلاف درهم؟ قال: أقْبِضْنيها. فأمر له بها، فلما قبضها قال له: هات رسالتك، قال أنْشِدْها:

أسُعْدَى هل إليك لنا سبيل ... ولا حتى القيامة من تَلاَقِ؟
بلى، ولعل دهرا أن يُؤاتِي ... بمَوْتٍ من خليلك أو فراق

فأتاها أشعب، فاستأذن عليها، فلما دخل قالت له: ما بدالك فى زيارتنا يا أشعب؟ فقال: يا سيدتى أرسلنى إليك الوليد برسالة، ثم أنشدها الشعر. فقالت لجواريها: عليكن بهذا الخبيث. فقال: يا سيدتى إنه دفع إلىّ عشرة آلاف درهم، فهى لك، واعتقينى لوجه الله. فقالت: والله لا أعتقك أو تبلغ إليه ما أقول لك. قال: يا سيدتى فاجعلى لى جُعْلاً. قالت: لك بساطى هذا. قال: قومى عنه، فقامت، فأخذه وألقاه على ظهره. وقالت: هاتى رسالتك، فقالت:

---

(١) إغاثة اللهفان ص ١٧٣، البراهين الساطعة ص ٣٣، الصبان على هامش مشارق الأنوار.

أتبكى على سعدى وأنت تركتها لقد ذهبت سعدى، فما أنت صانع؟

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأخذته كظمة. فقال لأشعب اخْتَرْ منى إحدى ثلاث، إما أن أقتلك، وإما أن أطرحك من هذا القصر، وإما أن ألقيك إلى هذه السباع فتفترسك، فتحير أشعب، وأطرق مليا، ثم قال: يا سيدى، ما كنت لتعذب عينا نظرت إلى سعدى، فتبسم، وخلى سبيله[1].

٤ - قيس ولبنى :

طلق قيس بن ذريح زوجته لبنى، وكان أبوه قد أمره بذلك لعدم إنجابها، فندم وأنشد :

فوا كبدى على تسريح لبنى وكان فراق لبنى كالخداع
تكنفنى الوشاة فأزعجونى فيا للناس للواشى المطاع
فأصبحتُ الغداة ألوم نفسى على أمر وليس بمستطاع
كمغبون يعض على يديه تبيَّن غبنه عند المباع[2]

٥ - المغيرة بن شعبة:

ممن اشتهر بكثرة الطلاق المغيرة بن شعبة، وقد مر فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة أنه طلق امرأته لما رآها تتخلل صباحا، ثم ندم، وقال عنه ابن المبارك: كانت تحت المغيرة أربع نسوة، فصفّهن بين يديه، وقال: أنتن حسان الأخلاق، طويلات الأعناق، ولكنى رجل مطلاق، فأنتنِ الطلاق[3].

٦ - الحجاج وطلاق هند :

جاء فى المستطرف « ج١ ص٤٦ »: كانت هند بنت النعمان أحسن أهل زمانها، فَوُصِفَ للحجاج بن يوسف الثقفى حُسْنُها، فأنفذ إليها يخطبها، وبذل

---

(١) العقد الفريد ج ٣ ص٢٠٧، والمستطرف ج٢ ص١٩١
(٢) المستطرف ج٢ ص ١٩١ والعقد الفريد ج٣ ص ٢٠٨
(٣) النجوم الزاهرة ج١ ص ١٤١

لها مالا جزيلا وتزوج بها، وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى ألف درهم، ودخل بها. ثم إنها انحدرت معه إلى بلد أبيها «المعَّرة» وكانت هند فصيحة أديبة، فأقام بها الحجاج فى المعرة مدة طويلة، ثم إنه رحل بها إلى العراق، فأقامت معه ما شاء الله، ثم دخل عليها فى بعض الأيام، وهى تنظر فى المرآة وتقول:

وما هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تحلّلها بغل

فإن ولدت فحلا فلله درها وإن ولدت بغلا فباء به البغل

فلما سمعها الحجاج انصرف راجعا، ولم يدخل عليها، ولم تكن علمت، فأراد طلاقها، فأنفذ إليها عبدالله بن طاهر، وأنفذ لها معه مائتى ألف درهم، وهى التى كانت عليه، وقال: يا ابن طاهر، طلقها بكلمتين، ولا تزد عليهما، فدخل عليها عبدالله بن طاهر، وقال: يقول لك أبو محمد الحجاج: كُنْت فَبنْت. وهذه المائتا ألف درهم التى كانت لك عليه، فقالت: أعلم يابن طاهر أنا والله كُنا فما حمدنا، وبنَّا فما ندمنا، وهذه المائتا ألف درهم التى جئت بها بشارة لك بخلاصى من كلب ثقيف، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان، ووصف له جمالها فأرسل إليها يخطبها، فأرسلت إليه كتابا تقول بعد الثناء عليه: اعلم يا أمير المؤمنين أن الإناء قد ولغ فيه الكلب. فلما قرأ عبدالملك الكتاب ضحك من قولها وكتب إليها: إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعا إحداهن بالتراب. فاغسلى الإناء يحل الاستعمال. فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم تمكنها المخالفة، فكتبت إليه بعد الثناء عليه: يا أمير المؤمنين، والله لا أحل العقد إلا بشرط، فإن قلت: ما هو الشرط؟ قلت: أن يقوم الحجاج بحملى من المعرة إلى بلدك التى أنت فيها، ويكون ماشيا حافيا بحليته التى كان فيها أولا. فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك ضحكا شديدا، وأنفذ إلى الحجاج، وأمره بذلك. فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل ولم يخالف. فأنفذ إلى هند يأمرها بالتجهز، فتجهزت وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعرة «بلد هند» فى محل الزفاف، وركب حولها جواريها وخدمها، وأخذ الحجاج بزمام البعير،

يقوده ويسير بها، فجعلت هند تضحك مع الهيفاء «وصيفتها» من الحجاج، ثم كشفت سجف المحمل لتبالغ فى كيده، فأنشد يقول:

فإن تضحكى منى فياطول ليلة تركتك فيها كالقَبـــاء المُفَرجَ

فأجابته بقولها:

وما أبالى إذا أرواحنا سلمت بما فقدناه من مـال ومن نَشَـبِ

فالمال مكتسب والعز مرتجـع إذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلد الخليفة، فرمت بدينار على الأرض، ونادت: يا جَمَّال، إنه قد سقط منا درهم فارفعه إلينا. فنظر الحجاج إلى الأرض فلم يجد إلا دينارا، فقال: إنما هو دينار. فقالت: الحمد لله، سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا. فخجل الحجاج، وسكت ولم يرد جوابا.

٧ - طلاق الزلفاء:

كانت الزلفاء جارية فتنت أهل المدينة، فطلقها صاحبها ثلاثا، ثم ندم وأنشد:

لا بارك الله فى دار عددت بهـا طلاق زلفـاء من دار ومن بلـد

فـلا يقـولَنْ ثـلاثـا قائـل أبـدا إنى وجدت ثلاثا أنكر العـدد

فكان إن أراد أن يعد شيئا قال: ٢، ٤، ٦ ....

٨ - الفرزدق ونوار:

نوار كانت بنت عم الفرزدق الشاعر المشهور، ولما بلغت خطبها قريب لها، فأرسلت إلى الفرزدق، وكان رئيس قومه، تخبره أنها قد رضيت بهذا الغريب، فقال: لن أزوجك منه حتى تشهدى الملأ على نفسك أنك قد رضيت بمن زوجْتك، فأرسلت النوار إلى رؤساء العشيرة، فلما اجتمعوا أعلنت أنها وكلت الفرزدق فى تزويجها. فقام وقال: سمعتم أن النوار قد ولتنى أمرها، وأشهدكم أننى قد زوجتها من نفسى.

فغضبت من هذا التصرف وأبت إمضاء زواج لم تفكر فيه، وأرادت الشخوص

إلى عبد الله بن الزبير أمير الحجاز، فلم يستطع أحد من قبيلتها معونتها على ذلك، خوفا من الفرزدق. وأخيرا وجد نفر من الشبان من الشجاعة ما دفعهم إلى الذهاب معها إلى مكة، غير مبالين بهجاء الشاعر العربيد.

وكان نزول النوار على خولة بنت منظور بن زيان، زوجة عبدالله بن الزبير، وورد على أثرها الفرزدق، ونزل على أبناء عبدالله بن الزبير، ومنهم حمزة، يمدحهم، ويستعين بهم على أبيهم.

وكان عبد الله بن الزبير رجل جد وصدق، شديدا فى الحق، فانتصر لقضية النوار. وأدرك الفرزدق ذلك قبل أن يصدر من ابن الزبير ما يؤكده، فأخذ يرجف به، ويشيع عنه أنه قد وقع فى هوى النوار، وأنه يعمل على طلاقها ليتزوجها هو.

ثم أنشأ قصيدة يقول فيها:

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم وشفَّعت بنت منظور بن زيَّانا

ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

وانتشر هذا الشعر، وسمعه ابن الزبير.

وحدث أن مر بالفرزدق يوما، فغمز عنقه حتى كاد يدقها، ثم استدعى النوار فقال لها: إن شئت فرقت بينكما، وقتلته حتى لا يهجونا أبدا، وإن شئت سيرته إلى بلاد العدو. فقالت: ما أريد واحدة منهما. فقال: فأنه ابن عمك، وهو فيك راغب فأزوجك إياه، فقالت: نعم

ورجع الفرزدق منتصرا، زوجه الخليفة بنفسه، وكان ابن الزبير يُنَادَى له بالخلافة فى ذلك الوقت، ولكنه أى الفرزدق لم يظفر بقلب النوار مطلقا، وذلك لبعد ما كان بينهما من فروق. فهو من الشذوذ والجموح على النحو الذى رأيناه، أما هى فسليمة الفطرة. ومن هنا عاشت معه كارهة له. ولم تكفَّ عن مطالبته بالطلاق حتى استجاب لها، ولكن بشرط ألا تبرح منزله، ولا تتزوج رجلا بعده، وألا تمنعه من مالها ما كان يأخذه منها مدة زواجهما.

رضيت النوار بذلك مقابل شرط واحد، وهو أن يشهد الفرزدق على طلاقها الحسن البصرى فقيه العصر. فوافق، وطلقها. ولما خرجت من ذمته ندم، ثم قال:

ندمت ندامة الكُسَعِى لما غدت منى مطلقة نوار

إلى آخر الأبيات التى تقدمت من قبل.

وكان لهذه القصة وقعها عند أهل الحجاز، وانقسموا فيما بينهم ما بين مؤيد لها ومعارض. والكسعى يضرب به المثل فى الندم الشديد. فقد رمى غزالا بقوسه فظن أنه لم يصبه فكسره، فلما أصبح وجد الغزال ميتا فندم. وذلك أن السهم كان ينفذ من الغزال ثم يسقط على الصخر، فيوقد شررا، فيظن أنه أصاب أصلا الصخر، وأخطأ الغزال. وبعد عدة محاولات كهذه ضاق ذرعا بقوسه فكسرها. ثم تبينت له الحقيقة فندم.

ويقال: إن الفرزدق تزوج على النوار من حدراء بنت زيد بن بِسْطام الشيبانية، وأصدقها مائة من الإبل، وكان يفضلها على النوار(١).

* * *

(١) أعلام النساء لعمر كحالة.